الثورة
السبت 7 شوال 1433هـ 25 اغسطس 2012م العدد (17448)

مساحة خضراء

فؤاد عبدالقادر

أمامك جدار .. خلفك جدار

□ تخونك الأفكار، يسرقك الوقت، ويخذلك القلم، تضيق عليك المساحة، تجد نفسك في حالة عدم توازن، وتقع بين براثن الإحباط.
تشعر بالقرف من كل شيء، أمامك جدار، خلفك جدار، على يمينك ويسارك جدار، أين المفر، تطبق عليك الجدران فتحبس أنفاسك، تلقي الورق وتلملم كراريسك، وتنطلق إلى الشارع لعلك تجد هواءً نقياً تتنفسه، ولا تجده.
في الشارع يصدمك كل شيء، ومن الوهلة الأولى، الوجوه المغبرة، المشاحنات بين بني البشر، لا أحد يطيق أحداً، لا كلمة تجبر الخاطر، ولا ضحكة تؤنس وحشةً، كُلٌ يحمل همه ومتاعبه وآلامه.
الضوضاء تخنقك، السيارات، الناس، تضيق الشوارع عليك وتخرج لسانها لك، وكأنها تغيظك.
تموت عشرين مرة في اليوم، بسبب القهر والغلب وقلة الحيلة.
الصباح، مثله المساء، الليل، لا شيء يتغير من حولك، »كأنك يا بوزيد ما غزيت«.

رواية «الحمراء» تكشف وقائع تاريخية عن عظمة عرب الأندلس

■ صدر عن مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث ترجمة رواية جديدة بعنوان «الحمراء»، للكاتبة الألمانية كيْرستن بويه، الحائزة على الجائزة الاستثنائية الألمانية عَام 2007، وقام بترجمتها إلى اللغة العربية دكتور صاموئيل عبّود.
تدور أحداث الرواية حول الأشهر القليلة الأولى التي تلت احتلال الملوك الإسبان لغرناطة وإطباق حكمهم على البلاد بعد استقرارهم في قصر «الحمراء» الذي يمثل أحد أهم الرموز الحضارية المتألقة التي خلفها العرب وراءهم في إسبانيا، بل إنه يعتبر أيضاً أحد أهم المعالم السياحية في اسبانيا، مع ما يحتويه من عمارة إسلامية ظاهرة كاستخدام العناصر الزخرفية الرقيقة في تنظيمات هندسية كزخارف السجاد، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية، بل حتى بعض المدائح والأوصاف من نظم الشعراء.
تعتمد الكاتبة في عملها قالباً روائياً فريداً باللجوء إلى حيلة أدبية من خلال توظيف أسطورة «السفر عبر الزمن» وذلك بهدف تقديم سرد تاريخي لمجريات تلك الحقبة، إذ ينتقل فيها البطل «بوسطن» الذي كان يزور غرناطة مع رفاق صفه من الزمن الحاضر إلى زمن سقوط غرناطة عام 1492، وإلى الحقبة نفسها التي تم فيها اكتشاف أمريكا، ويحدث ذلك إثر لمسه قطعة خزف منزوعة من جدار في قصر الحمراء تحمل كتابة عربية، وهنا تنقلنا الكاتبة من خلال حوارات أبطالها وعلى نحو غير مباشر، إلى أجواء تلك الأيام وإلى المقارنة بالتالي بين عهدين، وإلى استذكار جملة من الوقائع التاريخية، أو لنكتشف في سياق الرواية ما كانت قد أهملته بعض كتب التاريخ، من أن الناس الذين تنازل أميرهم عن حكمه وعن مملكته وعن مدينته وعن الحمراء من دون قتال، سعياً وراء السلامة أو تحججاً بعدم تدمير ما تم تشييده من حضارة عمرانية، وكيف أنهم قاوموا ومارسوا العصيان من خلال جمعهم المال من أجل شراء السلاح، متأملين عودة أميرهم إلى صفوفهم.
كما تحفل الرواية بالكثير من الوقائع والأحداث الجانبية وبعض تفاصيل تاريخ ذلك العهد، محبوكة ضمن سرد روائي شيق، وضمن قراءة تاريخية منصفة إلى حد كبير، مشيرة إلى أن قصر الحمراء دليل واضح على عظمة عرب الأندلس ورقيهم الحضاري ونهضتهم العمرانية والفنية والهندسية آنذاك.
وتقول الكاتبة الألمانية بصدد رؤيتها لتلك الأحداث، في الكلمة الختامية لروايتها، بأنها قامت قبل الكتابة، بقراءات لا حصر لها حول المغاربيين في إسبانيا، وحول ما سماه الإسبان بالاسترداد (أي حول ما يعرف بإعادة استرجاعهم للمقاطعات المغاربية)، وحول محاكم التفتيش، وعن كولومبوس وحول اكتشافه لأمريكا، وبأنها حاولت قدر المستطاع بناء على ذلك، المحافظة على سرد الحقائق، فالدولة التي دامت ما يزيد على 700 سنة في إسبانيا، كانت دولة إسلامية – عربية، إنها دولة الأندلس، وكانت تتحكم بكل، أو أقل بقليل من كل الأرض الإسبانية في البداية، وتلك مدة طويلة جداً: فالولايات المتحدة، على سبيل المثال، مضى على وجودها منذ عهد قريب 200 سنة فقط، لذا فقد خلف ذلك الوجود العربي وراءه آثاراً عميقة، ليس في إسبانيا وحدها، بل في كل القارة الأوروبية، ففي حين كانت بقية أوروبا في ذلك الحين تعاني سيطرة «العصور المظلمة»، كانت إسبانيا المغاربية على درجة عالية من الحضارة والتقدم، فالناس كانوا يقيمون فيها وزناً لأهمية العلم والفن، وأيضاً للهندسة والطب، كما كانت اللغة العربية في تلك الفترة هي لغة النخبة من المثقفين، أياً كان معتقدهم الديني، وكان علماء أوروبا يقصدون الأندلس ليطلعوا هناك على مكتبات العلوم والمعرفة المتوافرة فيها، كما كانت توجد في الأندلس أيضاً علاقات كثيرة وحيوية بين الأديان المتباينة، فالقرآن الكريم، وهو الكتاب المقدس لدى المسلمين، يعترف بكل من المسيحية واليهودية على أنهما دينان سماويان شقيقان، فقد عاش المسيحيون واليهود معاً في ظل دولة المغاربيين في الأندلس من دون الحاجة لأن يتحولوا إلى الإسلام أو أن تجري ملاحقتهم بسبب احتفاظهم بمعتقداتهم.
وفي هذا السياق وضمن تصور المؤلفة لتاريخ تلك الحقبة، تسود أجواء حوارات شيقة بين أبطال الرواية عن الحاضر والماضي والمستقبل، وإن كانت الرواية موجهة بالأصل إلى جيل الشباب والناشئة، إلا أنها بأحداثها، تصلح لأن يقرأها الكبار أيضاً بكل تأكيد.
ولدت الكاتبة كيْرستن بويه عام 1950 في مدينة هامبورغ الألمانية، ولَها روايات عديدة أخرى كان آخرها هذه الرواية التي صدرت في عام 2007. وقد منحت في العام ذاته، الجائزة الخاصة بالأدب الألماني للشباب تقديراً لأعمالها الكاملة حتى الآن.
مترجم الكتاب الدكتور صاموئيل عبود حاصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد حيث درس في برلين.. مازال يشرف بعد تقاعده على الرسائل العلمية في الجامعة، وله عدة أبحاث في مجال الاقتصاد وقام بترجمة «نحلة مايا» كما ترجم بعض السير الذاتية عن الألمانية بتكليف من معهد «غوتة»، يكتب في الصحافة اليومية في المجالين الاقتصادي والأدبي.

الأماني

الأماني،
تجلس بجواري، غضبى،
تنظر إليّ بشماتة
تطلب سيجارة
فأعتذر،
تطلب تفسيراً، أو تأويلاً
فأعتذر،
تطلب نكتة،
فأعتذر،
تطلب مراقصتها
فأعتذر،
تطلب مصاحبتها
إلى غرفتها،
فأعتذر،
تطلب قُبلة مختلسة
فأعتذر،
تطلب السير معها
في مظاهرة ضد الوضع،
فأعتذر،
تطلب رأيي
في بطالتها المزمنة
فأعتذر...
فجأة تصفعني،
وتذهب مدمدمة :
– متى تمارس الحياة؟
متى تنفث تمرّدك؟

الأماني
فقيرةٌ في المدينة،

تجلس في مقهى العاطلين عن الأمل
متذمّرة من كل شيء..
تقرأ للمشاة
وروّاد المقهى العابسين
بيان احتجاجها
على تأخر الوقت
عن سداده لمستحقاتها..

وتتهم سلطة الملل
بممارسة القمع ضد تأملاتها..
تطالب بتحقيق شامل
مع الكآبة، ومصادرة ثرواتها الجمّة.

الأماني..
تروّج أباطيلها،
وتشيع أن البنك الدولي
يشرف على غرفة نومها،
ويحدد كمية أحلامها، وبهجتها،
وحدود تحركها..

تقود مظاهرة لضحايا الدولار
والبيوت الفارغة من شغب الأطفال،
ومجاميع متفرقة
من أيتام الأمل..

ترفع برقية إلى مجلس الأمن
مطالبة إياه بقرار يدين
همجية الفراغ.

الأماني..
تطالب بإحالتها إلى التقاعد،
لا طاقة لها بمهنة الأوهام.

Kood500@Hotmail.com

إجلاءُ الصامت في ديوان الأستاذ عبدالله عطية؟!

■ إن عمر الإنسان يقاس بما قدمه في أيام زمانه، وبمقدار جهده تكون الإضافة لناتج الحياة الأدبية والاجتماعية عرضاً، وعمقاً، ودلالة... لأنها المدد النفيس للمعنى الأصيل للإنسان والشاعر والأديب، والمفكر «تمنحه غداءه، وضياءه وعطاءه، وأسباب تفوقه وعلى أساس ما يمنحه النتاج الأدبي من ذلك اللمحات، وسري النبضات يكون دوماً في موازين المداولة، وبما يمكنه من الاستفادة من بني الناس وبأثره الوارف يعطي ثماراً للعقول الآخذة من عطائه.

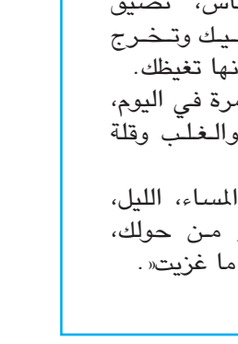

عقيد/ محسن السقاف

نقول هذا ونحن نستعرض كتاب الأستاذ الشاعر عبدالله عطية المربي التربوي لنصف قرن خلا في سوابق الأيام – حيث تطالعنا اليوم أعماله الأدبية في ديوانه المسوم والذي أصدرته وزارة الثقافة في السنوات الماضية، ولقد تفضل نجله المهندس والشاعر أكرم أن سطره لي بإهداء متواضع، والفضل له موصول.
وبالتجول السريع عبر ما احتواه الكتاب نلمس من الجهد واضحه، وقبل الولوج في بعض ما احتواه الكتاب يتضح للمستطلع حسن التنظيم والتبويب أو اتقان التنسيق والترتيب للحد الذي جعل الموضوع بين دفتي الكتاب حبات متناسقة في عقد نظم، لا تنافر بينها ولا فرجة، وإنما هو الوئام الذي يشد المستطلع، ويجذب انتباهه لينتقل به في يسر من صفحة لأخرى يروي بتاريخه زمان الشاعر وعهده إلى نهاية المطاف.
وهذه من الحمائد الذي تشكر للكاتب والناشر معاً والتي نتمنى أن تكون سمة لبني الناس، وبخاصة أهل الزمان من أقرانه.
وحتى لا تزل أقدام البعض في نكران فضل أولي الفضل حيث لا خير في جحود ولا أمل مع كنود ولا قيمة لمن يروي ظمأه من غير سواه ثم يزعم أنه أوتي نعمة على علم عنده.
لقد خاطب الشاعر الوطن في أماكن عدة ومنها يقول:

فلم يعد في بلادي
من يصنع الآلام
أو يقبل الذل يوماً
أو يرهب الحكاما
ما ربع قرن قضاه
حراً كريماً هماما
إلا امتداد نضال
سقى الطغاة الحماما
إلا إرادة شعب
لا تعرف إلا حجاما

ويتحدث الشاعر والأستاذ عن معاناة شعبه من عقد الـ 60، وحتى زمن الناس بآخر ما كتب دواماً من الجوانب الاجتماعية والسياسية والتربوية وغني عن البيان ثورية الشاعر ونمط تفكيره بالتعبير عن مشاعر الملايين من أبناء جلدته حيث يسطر قوله:

عادت في وعودها لمياءُ
فدروب الهوى زهوراً وماءُ
فلا هي ارتوت ولا هي شحت
فالمحبوب للوصال ظماءُ

ويواصل الشاعر إلى أن يقول:

أن هي تناءت في أر
ض امتداد لما ارتضى الشهداءُ
قل ما شئت فيها
فإن الإسراف فيه سخاءُ

والمتأمل يجد أن مجمل قصائده أي عطية كانت تستعرض ومعاناة الآخرين في أسلوب يجمع بين البساطة وفرط المعاناة حيث كان الشاعر دائم الاستشهاد بالتراث، وبما لا يجافي ويتعارض وحقائق الحياة، وهو في الأخير يعتمد الكلمة الصادقة والمهذبة وصولاً للحقيقة والحق مترفعاً بأصالة الخطاب الأدبي عن سفاسف الزمان ليكون كشف الحقيقة هدفه وغايته، وبهذا المنهج اتصف، وبالتجرد عرف في زمانه.
وفي قصيدته المسومة والمعبر عنها بدمعة رثاء للسيدة أم كلثوم طيب الله ثراها يقول:

جف يا فن نبعك الدفاق
وهوى كوكب الهوى الخفاقُ
جف ذاك النبع الإلهي
فالشرق وجوم ودهشة وانصعاقُ
يا كؤوس الطلى وقد ماتت الكر
مة هل بعد خمرها ما يذاقُ
يا ربيع الحياة والظل
وريف الصبا.. رقراقُ

لقد أطلق الشاعر حكم بينونة كبرى لارجعة فيها عندما أومى صراحة بجفاف النبع رثاءً ووفاءً لسيدة الغناء العربي أم كلثوم وما ألم بالأمة بعد رحيلها، وبالشرق والفن على مفردات الطبيعة.
ثم أشار عطية يخاطب كؤوس الطلى ليسألها هل بعد وفاة النسمة ما يمكن أن نشعر بحلاوته، فالربيع أقل والظل لم يعاود القلب سماعاً ونسائم الفن لم تعد تشاطر الأرواح طراً، ولم يجد لذلك جواباً ولم يستكين قلبه قط.
ولنجل الأستاذ الشاعر أكرم تخللت بعض صفحات الديوان أبيات شعرية وكأني بها تحاكي الواقع الساعة واليوم وتسابق زمانه... لطفاً منه حيث يقول:

الحمد لله الذي يهب الحياة لا سواه يجدد الأعمار
الحمد لله الذي يعطي مع الأقدار لطفاً يقهر الأقدار

فمع يقيني أمس قد ايقنت هذا اليوم أنك تحفظ الأخيار
وتثيبهم خيراً على إيمانهم، ومع الزمان تعاقب الأشرارا

الختام مسك وعطية الشاعر، ونجله عبدالعزيز شداه فلو أننا ذهبنا لاستقصاء مناقب القصائد الشعرية في ما تناولته الأعمال الشعرية بكتابه، وعبر مسلك حياته لطال المطال بالكلام، وضاق المقام، ولكن لنتركه للقارئ بما يجول في رياضه ويقطف من ثماره، ويأنس بما فيه من لمحات ولمعات وضاءة.
شكر الله القائمين على إخراج الكتاب للنور وحيز الوجود فهو جهد مثمر وثمين وعسى تحقيقاً أن يكون ديوان الأستاذ والموسوم بالأعمال الشعرية الكاملة زيادة مباركة في دخائر مواريثنا، وإلى روح الأستاذ تحية من تلميذ معجب وابن مُحب.
والله من وراء القصد

بيت من الشعر
يا بالغ الشأو هل أبقيت من غلب
لدى استباق إذا ما قامت الحلبُ

اصدارات ثقافية

«بهاء طاهر ناقدًا مسرحيًا

■ صدر حديثًا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة كتاب بعنوان «بهاء طاهر.. ناقداً مسرحياً» إعداد وتقديم الشاعر والناقد شعبانٍ يوسف، ويكشف الكتاب عن جانب يكاد يكون مجهولاً تمامًا عن صاحب رائعة «خالتي صفية والدير»، وهو الجانب الذي استغرق المرحلة الأولى من حياة الكاتب، وهو العمل في مجال الإخراج المسرحي الإذاعي والنقد الذي كان يمد به بهاء طاهر الحياة المسرحية المصرية في زمن الستينيات.
ويضم الكتاب بعض ما كتبه بهاء طاهر الناقد المسرحي حيث لا غناء لأي باحث يحاول أن يتعرف على مسرح الستينيات دون أن يقرأ ما كتبه بهاء طاهر، ولا تأتى نشر هذه النصوص النقدية للتعرف على الجانب المجهول في حياة طاهر، لكن هذه النصوص تعتبر شهادة عميقة ووافية ومخلصة للمرحلة التي تتعرض لها، وتعبر عن ثقافة موسوعية تنطلق من موقف فكرى يحدد موقع الكاتب الكبير في عملية التغيير التاريخية في ذلك الوقت، وهى شهادة حق من داخل كواليس المسرح المصري، إذ إن بهاء طاهر كتب هذه النصوص النقدية، وهو كان ممارسًا لفن الإخراج المسرحي لأكثر من عقد من الزمان، وهى تلقى الضوء على مرحلة يتم تغييبها اليوم بفعل فاعل، وهى مرحلة لا يمكن قراءة تاريخ مصر دون التعرف عليها بدقة وعمق.«الفضائيات العربية..الطريق إلى الجهل» دراسة تحليلية لطلال سيف

«الشباب والحركات الاجتماعية والسياسية»

■ صدر حديثا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، برئاسة الدكتور أحمد مجاهد، ضمن سلسلة إنسانيات، كتاب بعنوان «الشباب والحركات الاجتماعية والسياسية» للدكتورة إيمان محمد حسنى عبد الله.
وتعنى هذه السلسلة بدراسة الإنسان وتاريخه وبيئته وواقعه الاجتماعى والثقافى والسياسى وما ينشغل به البشر من إشكاليات حياتهم ومجتمعهم، وانسياق ثقافتهم وقيمهم فى علوم مثل التاريخ والأنثروبولوجى والاقتصاد والنقد الأدبى.
يرصد هذا الكتاب تنامى الحركات السياسية والاجتماعية والاحتجاجات المجتمعية، لاسيما المتمثلة فى الشباب المصرى والتى شهدتها مصر فى السنوات الأخيرة وكانت الشرارة الرئيسة لاندلاع ثورة 25 يناير.
وينقسم الكتاب إلى ستة فصول رئيسية يعرض الفصل الأول دور الإعلام فى عملية التغير الاجتماعى السياسى الديمقراطى وتعبئه الإرادة العامة للتغير والإصلاح ويرصد تحليل وسائل الإعلام ويتضمن التركيز على تغطية أنماط حديثة من الأنشطة المجتمعية.
والفصل الثانى يقدم نبذة مختصرة عن الحركات الاجتماعية والسياسية ومفهومها ونشأتها وأهدافها والنظريات المفسرة لتكونها وخصائصها وأنواعها وعلاقتها بالكيانات الاجتماعية والسياسية الأخرى.
أما الفصل الثالث فيقدم رؤية نقدية تحليلية لعلاقة الشباب بعملية التغير الاجتماعى السياسى الديمقراطى من خلال إعادة رصد مختلف الاتجاهات البحثية المعنية بفحص دور الشباب فى مجال التغير والابتكار داخل النسق الأجتماعى.
أما الفصل الرابع فيتحدث عن تغير الاحتجاج فى مجتمعاتنا المعاصرة ومنها إلى الحركات الاجتماعية فى مصر ثم الحركات التى تكون موضع للدراسة كالإخوان المسلمون ، وكفاية ،والقضاة ،والحركة العمالية، وحركة أساتذة الجامعات ودراستها بشكل أكثر تحديدا أو تفصيلا.
والفصل الخامس يختص بتقديم ومناقشة نتائج دراسة تطبيقية تحليلية ميدانية عن علاقة الأطر الإخبارية الصحفية عن أنشطة الحركات السياسية والاجتماعية باتجاهات الشباب المصرى نحو هذه الحركات .
فى حين يقدم الفصل السادس دراسة حالة لخصوصية تجربة الاحتجاج المصرية حتى اندلاع ثورة 25 يناير 2011 من خلال التعرض لجذور ثقافة الاحتجاج لدى المجتمع المصرى وابرز ملامح تطورها والثابت والمتغير فيها وأسبابه ودلالاته مع وضع توثيق متكامل لنماذج الاحتجاجات الشبابية الحديثة والمعاصرة فى مصر وأخير فحص مدى تقبل الرأى العام المصرى الرأى الفئوى للشباب تحديدا لفكرة الاختلاف والخلاف وعلاقة ذلك بخصائص وممارسات النظام الاعلامى فى مصر.

الفضائيات العربية..

■ صدر مؤخرا ببيروت كتاب بعنوان «الفضائيات العربية.. الطريق إلى الجهل» للمخرج والباحث طلال سيف، ويتعرض الكتاب للمشهد الإعلامى العربى، ويبدأ بالخطاب الإعلامى التجارى «المتأسلم والمتعلمن»، على حد وصف الكاتب، ثم المشهد الإعلامى الحكومى فى الدول العربية والترويج للديكتاتوريات الحاكمة، فى ظاهرة لتعليب الوعى فى مسارات معدة ومجهزة مسبقًا.
كما تعرض الكاتب لنظرية إعلام المسئولية الاجتماعية، ومساحتها على خارطة الإعلام العربى، والكتاب ليس مجرد توصيف للمشهد، بل يعد بناء معرفيا لكيفية تلقى الرسائل التليفزيونية، وكشف السليم من المعيب.. الصادق من الكاذب، من خلال إتباع منهج بحث علمى ونظريات جديدة تهم المتلقى.

يقول الكاتب:
«لأن تكون حرًا فى زنزانة، خير لك من أن تكون عبدًا فى قصر».. الحرية اعتقاد ذاتى، مبتداها الإيمان بالفكرة ومنتهاها حب العالم، فلا الأسوار ولا القيود ولا أغلال الحمقى، يثنون الأحرار عن ممارسة الحرية. منها نتحرك نحو آفاق السعادة المنشودة للإنسان، وبها تبنى الأمم الحضارات، لا يجتمع خوف وحرية ولا كسل وحرية ولا كره وحرية ولا طمع وحرية، بل تلك صفات العبيد الذين ارتدوا أثوابها، تخمة وترفًا وتسلطًا وقبحًا، فصرنا فرقًا.. أحرارًا وعبيدًا، وتوسطنا اللاشىء من بنى آدم، ذلك الكائن البشرى الذى لم يكن الأول ولم يكن الأخير، فثبت ناظريه ناحية المتخمين بالقبح، متعاميا بالجهل فلم ير حسن الذات الحرة أبدا.. النهضة تبدأ من الحرية، والإعلام أحد وسائل نقل الفكرة ودعمها.